دور الشيخ تقي الدين بن تيمية(1) في مواجهة الخطر المغولي على بلاد الشام 699هـ/702هـ/1299م/1302م:

أ/ فراج وسيلة
المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

تقديم:

تعرضت بلاد الشام للغزو المغولي[2] بقيادة ملكهم غازان[3] عدة مرات منها سنة **699هـ/1299م** فرغم إسلامهم فإنهم اجتاحوا المنطقة واستولوا على دمشق وغزة والقدس وعاثوا فيها فسادا سنة **702هـ/ 1302م** ، وعادوا مرة أخرى في غارة على الشام سنة **700هـ/1300م** و**702 هـ /1302م** [4] .

وقد ارتكب المغول جرائم وحشية في حق المسلمين وخربوا دمشق والصالحية سنة **699 هـ /1299م** فقتلوا العلماء، والمشايخ، والكهول ،والنساء ،والأطفال ،وأحرقوا المساجد ودور الكتب وأحرقوا دار الحديث الأشرفية والنورية وعدة مدارس كالعادلية الصغرى والقيمرية والمارستان النوري وجامع التوبة والعقيبة ، كما أحرقوا كثيرا من الدور والقصور والبساتين ونهبت كتب كثيرة من الرباط الناصري والضيائية[5] ، وقد قتلوا من أهل الصالحية أربعمائة قتيل وأسروا أربعة آلاف أسير .[6]

وقد تصدى كثير من علماء الشام للغزو المغولي من أبرزهم الشيخ تقي الدين بن تيمية المتوفي سنة **728 هـ /1327 م** فخرج إلى حي الصالحية ليتبين الأمر فشاهد بنفسه ما حدث بأهلها فلم يفر أو يخرج من الشام ولم يمنعه انشغاله بالعلم والتحديث والتصنيف عن الذب عن بلاده ضد الأعداء فما هو موقف ابن تيمية من المغول ؟ وإلى أي مدى ساهم في إبعاد الخطر المغولي عن البلاد الإسلامية؟ .

أولا / موقفه من قتال المغول :

رأى الشيخ تقي الدين بن تيمية أن المغول أعظم خطر يهدد الأمة لأنهم لم يتوقفوا عن تقتيل المسلمين والتنكيل بهم فأفتى بوجوب محاربتهم وشارك بنفسه في ميدان القتال وحفَز المسلمين لقتالهم وسافر إلى مصر يدعوا السلطان الناصر بن قلاوون والأمراء إلى التعاون للوقوف في وجه الأعداء ، وقابل ملكهم غازان ونهاه عن غزو بلاد المسلمين كما حارب كل من تواطأ معهم من النصارى والفرق الضالة كالإسماعلية والنصيرية.

أخبر ابن تيمية السلطان الملك الناصر في رسالة بعثها إليه يتأسف عما حدث للأمة الإسلامية من اضطرابات وفتن بسبب غزو المغول حيث وصفهم بالمفسدين الخارجين عن شريعة الإسلام وإن تكلموا بالشهادتين فقد كان ذلك إسميا فقط ، ويدل على ذلك ما فعلوه من ظلم ونفاق وتلبيس وبعد عن شرائع الإسلام حيث دعا إلى ضرورة مقاتلتهم وحماية أرض الإسلام منهم ودعا إلى الجهاد بالأنفس والأموال وإخلاص النية والإيمان بأن النصر من الله ليتحقق ذلك .[7]

وأضاف :أن الله فرض على المسلمين الجهاد بالأموال والأنفس ويجب عليهم أن يجاهدوا عدوهم وإن تركوا ذلك فقد عصوا الله ورسوله واستحقوا العقوبة ، وكذلك إذا تقاعدوا حتى يطأ العدو أرض الإسلام ، والتجربة تدل على ذلك فإنه لما كان المسلمون يقصدونهم في تلك البلاد انتصروا مثلما حدث في نوبة عين جالوت سنة(**658** هـ /**1260**م) م أما إذا مكنوهم من دخول البلاد انكسرا لولا أن ثبتهم الله ..ونحن نرجو أن يستأصلهم الله .[8]

وأضاف قائلا : ليس من شريعة الإسلام أن المسلمين ينتظرون عدوهم حتى يقدم عليهم لكن يجب على المسلمين أن يقصدوهم ، وإن بدأوهم بالحركة فلا يجوز تمكينهم حتى يعبروا ديار المسلمين، بل الواجب تقدم العساكر الإسلامية إلى ثغور المسلمين فالله يختار للمسلمين في جميع الأمور ما فيه صلاح الدنيا والآخرة [9].

لكن عندما انتشر بين المسلمين أن المغول قد أسلموا سنة **694** هـ /**1294**م بعد إسلام ملكهم غازان،تردد المسلمون في قتالهم وهناك من كف عن ذلك رغم أنهم قتلوا المسلمين ونهبوا

أموالهم وانتهكوا الحرمات وأهانوا المساجد وأهانوا المسلمين وأخرجوهم من ديارهم وادعوا التمسك بالدين فسئل الشيخ ابن تيمية هل يجب قتالهم؟[10]

فأجاب قائلا : إنها طائفة ممتنعة عن شرائع الإسلام وجب قتالهم خاصة ما فعلوه من إنتهاك الحرمات وتعدي على المسلمين وأملاكهم ، ذلك أن الصحابة اتفقوا على قتال مانعي الزكاة ، الإعتصام بالإسلام مع عدم الإلتزام بشرائعه ليس مسقط للقتال فالقتال واجب حتى يكون الدين كله لله ، وأضاف أن هؤلاء عسكرهم مشتمل على قوم كفار من النصارى والمشركين وعلى قوم منتسبين إلى الإسلام وليس منهم من يصلي إلا القليل وكانوا يوجبون الإسلام ولا يقاتلون من تركه ، بل من قاتل على دولة المغول عظموه وإن كان كافرا وكل من خرج عن دولة المغول أو عليها واستحلوا قتاله وإن كان من خيار المسلمين فلا يجاهدون الكفار ولا يلزمون أهل الكتاب بالجزية ولا ينهون أحدا من عسكرهم أن يعبد الشمس أو القمر أو غير ذلك .[11]

وذكر ابن تيمية أن المسلم عندهم بمنزلة الرجل الصالح والكافر عندهم بمنزلة الفاسق في المسلمين أو تارك التطوع ، كما أن عامتهم لا يحرمون دماء المسلمين وأموالهم إلا أن ينهاهم عنها سلطانهم أي لا يلتزمون تركها وإن نهاهم عنها وعن غيرها أطاعوه لكونه سلطانا لا بمجرد الدين وعامتهم لا يلتزمون أداء الواجبات لا من صلاة ولا من زكاة ولا من حج ولا يلتزمون الحكم بينهم بحكم الله بل يحكمون بأوضاع لهم توافق الإسلام تارة وتخالفه تارة أخرى وبالتالي قتالهم واجب بإجماع المسلمين .[12]

وقال ابن تيمية :"إن من يقاتلهم على الوجه الكامل فهو الغاية في رضوان الله وإعزاز كلمته وإقامة دينه وطاعته رسوله وإن كان فيهم من فيه فجور وفساد نية ، بأن يكون يقاتل على رياسة أو يتعدى عليهم في بعض الأمور وكانت المفسدة ترك قتالهم على هذا الوجه كان الواجب قتالهم دفعا لأعظم المفسدتين بالتزام أدناها فإن هذا من أصول الإسلام التي ينبغي مراعاتها [13].

ومن ذلك يتبين أن ابن تيمية وضح للمسلمين ضرورة محاربة المغول لأنهم دخلوا الإسلام إسما فقط ، وتعدوا على الحرمات وسفكوا الدماء ولم يفرقوا بين الشيوخ والأطفال والنساء وأخرجوهم من ديارهم فكيف كان دوره في محاربتهم ؟

ثانيا / مواجهة ابن تيمية لملك التتار غازان :

عندما توجه غازان بجيشه نحو بلاد الشام منذ **699** هـ /**1299**م ودمر عدة مدن وأحرقها توجه ابن تيمية إلى غازان وطلب منه إطلاق سراح الأسرى من المسلمين وغيرهم وأن يعطي الأمان لأهلها وأن يرجع عن حرب المسلمين وإن كان مسلما يدعى الإسلام وعندما وصل إلى غازان دخل عليه بكل شجاعة وحدثه بقول الله ورسوله صلى الله عليه وسلم واقترب منه السلطان مع ذلك مقبل عليه مصغ لما يقول وهو متعجب من هيبته ،حيث سأل من هذا الشيخ لم أر مثله ولا أثبت قلبا منه و لا أوقع من حديثه في قلبي فأخبر عنه وعن علمه وتقواه ، وقد خاطبه ابن تيمية وترجم له ما قال : " قل لغازان أنك تزعم أنك مسلم ومعك قاض وإمام وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا و أبوك و جدك كانا كافرين وما عملا ما عملت ، عاهدا فوفيا وأنت عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت"[14].

ويذكر أن ابن تيمية قدم له طعاما فأكل منه جماعة إلا هو فقيل له ألا تأكل فقال : "كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتم من أغنام الناس و طبختموه من أشجار الناس ، ثم طلب منه غازان الدعاء فقال :"اللهم إن كان عبدك محمود إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا وليكون الدين كله لله فانصره وأيده وملكه البلاد والعباد ، وإن كان إنما قام رياء وسمعة وطلبا للدنيا ولتكون كلمته هي العليا وليذل الإسلام وأهله فاخذله وزلزله ودمره وأقطع دابره[15].

وكان غازان يؤمن على دعائه ويرفع يديه، وقال من كان معه من الرجال: فجعلنا نجمع ثيابنا خوفا من أن تتلوث بدمه إذا أمر بقتله ، لكن ابن تيمية عاد إلى دمشق سالما وما إن وصل إلى الشام إلا وهو محفوف بنحو ثلاثمائة فارس استقبلوه في أثناء الطريق

وشكروه على مساعيه الحميدة وبعدها أمن الناس على أنفسهم وأموالهم بمنشور عام للناس وسكنت النفوس واطمأنت [16] .

وبعد أيام عاد التتار لقتال المسلمين فرأى بعض الأمراء تسليم القلعة حماية للسكان فوقف ابن تيمية أمامهم وطلب من صاحب القلعة عدم تسليمها ولو لم يبق فيها إلا حجر واحد فأخذ صاحب القلعة برأي ابن تيمية ودخل غازان دمشق وخطب فيها باسمه على منبر دمشق فقام بفرض أموال كثيرة على أهلها وبدأ التتار بأعمال القتل والنهب [17] .

فخرج ابن تيمية مع جماعة إلى الملك غازان فلم يستطع الاجتماع به ، واستعصت القلعة على غازان فعاد إلى العراق وترك نائبه بولاي[18] في الشام ، فخرج ابن تيمية إلى بولاي وكلمه في أسرى المسلمين الذين معه ففك أسرهم ، وبعدها قدمت الجيوش المصرية إلى الشام ، فخرج بولاي وعساكره من دمشق فنودي إلى ضرورة تحصين البلد والأسوار فخرجوا ومعهم ابن تيمية فكان يدور حول الأسوار كل ليلة يدعوا الناس إلى ضرورة القتال [19] .

ورغب الناس في الإنفاق في سبيل الله وأعلن إعلانا عاما أن لا يسافر ولا يخرج أحد من البلد إلا بمرسوم خاص كما أقام ابن تيمية معسكرات التدريب في كل مكان حتى المدارس وأمر المحدثين والفقهاء أن يتعلموا الرمي وان يستعدوا لقتال العدو [20]وبذلك استطاع ابن تيمية فكاك أسرى المسلمين من يد غازان ونائبه وحمى قلعة دمشق منهم فكان ذو حنكة سياسية وأسلوب حكيم في مقابلة الملوك وأقام معسكرات للتدريب استعدادا للقتال فلم يكن بذلك رجل علم فقط بل كان رجل دولة أيضا .

ثالثا– تأثير ابن تيمية في السلطان الناصر بن قلاوون ودعوته إلى مقاتلة المغول :

بعد أن أغار المغول مرة ثانية على بلاد الشام سنة **700**هـ/**1300**م ظن الناس أن عسكر مصر قد تخلوا عن الشام ، فطلب الأمراء ونائب السلطنة من ابن تيمية أن يسافر إلى مصر بنفسه ليحث السلطان على المجيء وليلاحظ بنفسه ويدرك ما عليه الناس من الخوف والذل والرعب فوافق ابن تيمية على السفر إلى السلطان ، فدخل عليه وعلى

أركان دولته وطلب منه النصرة وخوفه بالله وهدده بأنه إن تأخر فإن أهل الشام سيجعلون سلطان غيره يدافع عنهم حيث قال :

"إن تخيلتم عن الشام ونصرة أهله و الذب عنهم فإن الله يقيم لهم من ينصرهم غيركم ويستبدل بكم سواكم وتلا قوله تعالى " إن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم " سورة محمد الآية **38** . وقوله تعالى " إن تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه " سورة التوبة الآية **39**، ثم حث الأمراء على القتال وبذل الأموال ونهاهم عن الفرار وطمأنهم ووعدهم بنصر الله [21] .

وقد أقام بن تيمية بمصر أياما يحث الناس على الجهاد فاستجاب السلطان والناس لدعوة الشيخ وتحرك الجيش المصري إلى الشام ، واستعد المسلمون للحرب ثم اضطر المغول إلى الانسحاب نحو العراق [22].

وعاد ابن تيمية إلى الشام وإلى مجالسه العلمية بعد زوال خطر المغول ولم يفارقها إلا بالقدر الذي يضطر فيه إلى مقابلة الملوك والأمراء والسلاطين ومخاطبة القواد والاتصال بالجنود على جبهات القتال ، وبعدها دار ابن تيمية وأصحابه على الخمارات والحانات فكسروا آنية الخمور وعزروا جماعة من أهل الحانات المتخذة لذلك ففرح الناس بما قام به[23] .

رابعا : التصدي للنصارى والفرق الضالة المتعاونة مع المغول :

انشغل الشيخ ابن تيمية بمحاربة النصارى الموجودين بالشام وقبرص بإرسال الكتب والرسل إليهم وتحذيرهم من التعاون مع التتار ضد المسلمين منها رسالة بعثها إلى ملك قبرص النصراني "سرجوان[24] قائلا : كيف تستحل سفك الدماء وسبي الحريم و أخذ الأموال بغير حجة من الله ورسوله أما تعلم أن بديارنا من النصارى أهل الذمة ما لا يحصى عددهم إلى الله ومعاملتنا فيهم معروفة فكيف يعاملون أسرى المسلمين بهذه المعاملات التي لا يرضى بها ذو مروءة ولا الدين ..... أليست عهود المسيح وسائر الأنبياء توصي بالبر والإحسان فأين ذلك ؟ ثم إن كثيرا منهم إنما أخذوا غدرا والغدر حرام في جميع الملل والشرائع والسياسات فكيف تستحلوا أن تستولوا على ما أخذ غدرا .....

أفتأمنون مع هذا أن يقابلكم المسلمون ببعض هذا و تكونون مغدورين والله ناصرهم ومعينهم لاسيما في هذه الأوقات و الأمة امتدت للجهاد.... ثم أضاف إنما غرضي الساعة مخاطبتكم بالتي هي أحسن والمعاونة على النظر في العلم و اتباع الحق وفعل ما يجب من البحث عن الحق بدل الضلال الذي أنتم فيه وعبادة الله كما أمر .. ثم ذكر ضرورة مساعدته للأسرى المسلمين في بلاده والإحسان إليهم وإطلاق سراحهم ....و من العجب أن يأسر النصارى قوما غدرا أ وغير غدر ولم يقاتلهم والمسيح يقول من لطم على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر ....[25]

وأضاف وكلما كثرت الأسرى عندكم كان أعظم لغضب الله وغضب عباده المسلمين فكيف يمكن السكوت على أسرى المسلمين في قبرص سيما وعامة هؤلاء قوم فقراء وضعفاء ليس لهم من يسعى فيهم كما بين له موقفه من غازان وحذره منه فإن نيته فاسدة فإن تعاون معهم سيلحق خطرهم بهم ويمكن أن يعذروا بهم[26].

يتبين لنا من هذه الرسالة أن ابن تيمية أمر ملك النصارى سرجوان بضرورة إطلاق سراح الأسرى وعدم إيذائهم واستعمل معه أسلوب الترغيب والترهيب كما حذرهم من المغول وخطرهم وعدم التعاون معهم لأن خطرهم سيمتد إليهم لا محال .

كما حارب بن تيمية الفرق الضالة الباطنية كالإسماعيلية والنصيرية الدرزية الذين أعانوا التتار على قتال المسلمين وتعاونوا مع النصارى ضد المسلمين ،حيث أرسلت هذه الفرق الضالة إلى أهل قبرص فتملكوا بعض سواحل الشام وحملوا راية الصليب وحملوا إلى قبرص ما أخذوه من خيل المسلمين وسلاحهم وأسراهم مالا يحصى عددهم إلا الله [27].

وكانوا يبيعون في سواحل الشام المسلمين وخيولهم وسلاحهم لأهل قبرص كما فرحوا بمجئ التتار وعند مجيء السلطان إلى الشام والانتصار على التتار أظهروا الحزن ، وهم الذين كانوا سببا في خروج جنكيزخان إلى بلاد الإسلام وفي استلاء هولاكو على بغداد وفي نهب الصالحية [28].

وقد وصف ابن تيمية الفرق الضالة وبين ما هم عليه من كفر وضلال فقال : إنهم من أهل البدع المارقين ذوي الضلال المنافقين الخارجين عن السنة والجماعة الذين غزوا

أهل الجبل الجرد وكسروان — جبال ببلاد الشام انتشرت فيها الفرق الضالة — فهم من أكابر المفسدين في أمر الدنيا ، فإن اعتقادهم أن أبا بكر وعمر وعثمان وأهل بدر والمهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان وأئمة الإسلام وعلماءهم وأهل المذاهب الأربعة وغيرهم وملوك المسلمين كل هؤلاء عندهم كفار مرتدين فهم يقدمون التتار عل أهل القرآن والإيمان وعندهم كل من لم يوافقهم على ظلالهم فهو كافر مرتد ، ومن مسح على الخفين فهو كافر ومن حرم المتعة فهو كافر ومن أحب أبا بكر أ وعمر أو عثمان أو ترضى عنهم أ وعن جماهير الصحابة فهو كافر [29].

ومن لم يؤمن بالمنتظر فهو كافر ومن قال أن الله يرى في الآخرة فهو كافر ومن قال أنه تكلم بالقرآن فهو كافر ومن آمن بالقضاء والقدر فهو كافر ... هذا ما تلقنه لهم شيوخ هذا الجبل ، وكانوا يأمرونهم بقتال المسلمين وإذا ورد إليهم النصارى من أهل قبرص يضيفونهم ويعطونهم سلاح المسلمين ويقعون بالرجل الصالح من المسلمين فإما أن يقتلوه أو يسلبوه وهؤلاء القوم كانوا أقل صلاة وصياما ، وقال ابن تيمية لم نجد في جبلهم مصحفا ولا فيهم قارئا للقرآن وإنما عندهم عقائدهم التي خالفوا فيها الكتاب والسنة [30]

وقد أباحوا دماء المسلمين وسفكوا دماءهم وأخذوا من الأموال مالا يحصى عدده إلا الله وهؤلاء إذن خرجوا عن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته و هم أ شر من التتار لكن التتار أكثر و أقوى وكثير من فساد التتار هو لمخالطة هؤلاء لهم [31].

وقد ذكر ابن تيمية مدى خطورة هذه الفرق الباطنية الرافضة خاصة الإسماعيلية والنصيرية وغيرهم الذين يدَعون الألوهية والنبوة في غير الرسول صلى الله عليه وسلم فالإسماعلية والنصيرية وغيرهم الذين يدعون الألوهية و النبوة في غير الرسول صلى الله عليه وسلم [32].

فالإسماعيلية ينتسبون إلى محمد بن اسماعيل بن جعفر الذين يقولون أنهم معصومون وأنهم أصحاب العلم الباطن كقولهم الصلاة معرفة أسرارنا لا هذه الصلوات ذات الركوع والسجود والصيام كتمان أسرارنا ليس هو الإمساك عن الأكل والشرب والنكاح و غيرها من المعتقدات [33]

أما النصيرية فهم أتباع أبي شعيب محمد بن نصير القائلين باستحلال الخمر وتناسخ الأرواح وقدم العالم وإنكار البعث والنشور والجنة والنار في غير حياة الدنيا و لهم ألقاب يلقبون بالملاحدة وتارة القرامطة وتارة الباطنية والإسماعلية والنصيرية والخرمية والمعمرة وهذه الأسماء منها ما يعمهم ومنها ما يخص بعض أصنافهم وظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض .[34]

وبسبب كفرهم وفسادهم وخطورتهم أصر ابن تيمية على محاربتهم فقد خرج سنة **704**هـ /**1304**م مع نائب السلطنة في الشام جمال الدين آقوش الأفرم وتوجهوا نحو جبال الجرد وكسروان حيث تنتشر هذه الفرق [35].

وكان ابن تيمية قد أرسل رسالة إلى السلطان قلاوون وأمره بتجهيز جيش لهؤلاء الخارجين وأفتاه بوجوب قتالهم وعندما وصل ابن تيمية والجيش الذي معه إلى الجبل جاء رؤساء هذه الفرق إلى ابن تيمية فاستتابهم وبين ما هم عليه من ضلال وكفر وألزمهم برد ما أخذوه من أموال الجيش وقدر عليهم أموال كثيرة يحملونها إلى بيت المال [36].

كما قتل منهم الكثير ومن فرقتهم الضالة وعاد إلى دمشق منصور من هذا الفتح والإنجاز حيث أخلي الجبل منهم [37].

واضح من ذلك أن ابن تيمية حارب الفرق الضالة بنفسه وفضحهم وبين الحكم الشرعي في ضرورة مقاتلتهم وطبق عليهم الحدود واستتابهم وأرشد السلطان بضرورة محاربتهم لفسادهم حيث اعتبروا أكفر من اليهود والنصارى وقد استطاع أن يقتل منهم الكثير وتابعهم حتى خلا الجبل منهم وهكذا جمع الشيخ بين الفتوى كعالم و الجهاد كمجاهد.

خامسا:مشاركته في معركة شقحب702هـ/1302م وانتصاره على المغول:

في سنة **702** هـ /**1302**م جاء التتار إلى الشام مرة أخرى وأحاطوا بدمشق من كل مكان فانزعج الناس واشتد خوفهم وهرب البعض إلى الديار المصرية و الكرك وتأخر وصول العساكر المصرية، ووصل التتار إلى حمص وبعلبك وعاثوا فيها فسادا وانتشرت إشاعات أن لا طاقة لجيش الشام بلقاء التتار لقلتهم وتأخر الجيش المصري وكثرة جيش

التتار وزين للناس التراجع ، وبعدها جاءت الأخبار بوصول الجيوش المصرية واجتمعت الجيوش المصرية و الشامية مع السلطان الناصر لمواجهة المغول ، كما تعاون العلماء والقضاة والأمراء في هذه المرة وابن تيمية على رأس الجميع ليثبت القلوب ويعدهم بالنصر (38).

فاجتمع الأمراء وتعاهدوا وتحالفوا على لقاء العدو ونودي بالبلد أن لا يرحل أحد فسكن الناس وهدأت النفوس فارتفعت الروح المعنوية عند العامة والجند ثم توجه بن تيمية إلى حماه واجتمع بالناس وأعلمهم بما تحالف عليه الأمراء والناس للقاء العدو فأجابوا إلى ذلك وتحالفوا معهم ودعا ابن تيمية السلطان إلى السير إلى دمشق بعد أن كاد أن يرجع إلى مصر فجاء فسأله السلطان أن يقف معه في أثناء القتال فقال له : السنة أن يقف الرجل تحت راية قومه ونحن من جيش الشام لا نقف إلا معهم ، وحث السلطان على القتال وبشره بالنصر ودخل المعركة في موضع يسمى" شقحب " (39) -أنظر الخريطة- وقد نظم المسلمون جيشهم في سهل شقحب وكان السلطان الناصر مع الأمراء والقضاة وقد بدأ القتال واتخذت الاحتياطات اللازمة فمر السلطان مع الأمراء والقراء بين صفوف الجيش يشجعهم للقتال .

وكان بن تيمية في ميدان القتال بصحبة طلبة العلم من الفقهاء والصالحين يشجع الجيش والمتطوعين في ساحة القتال ويبشرهم بالنصر وجعل يحلف : والله الذي لا إله إلا هو أنكم لمنصورون عليهم هذه المرة فيقول الأمراء : قل إن شاء الله فيقول إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا ذلك أنه كان موقنا بنصر الله بدعائه الخالص ، وقد أفتى الناس بالفطر مدة القتال .

كانت هذه المعركة في شهر رمضان وكان يدور على الأمراء والجنود في الميدان وهو يأكل أمامهم ليبين لهم أنه مفطر ويروي لهم قوله صلى الله عليه وسلم في عام الفتح " إنكم ملا قوا العدو غدا والفطر أقوى لكم " ، وبدأت المعركة و التحم القتال بين الطرفين واستطاع المغول أن ينزلوا بالمسلمين خسارة وقتلوا الكثير من الأمراء ثم الحال تبدل وثبت المسلمون أمام المغول وقتلوا منهم الكثير فوهنت جيوش التتار واعتصمت

بالجبال وظلت سيوف المسلمين تلاحقهم في كل مكان وتحاصرهم حصارا شديدا فقتلوا منهم الكثير وفرح السلطان الناصر قلاوون والمسلمين بهذا النصر ودخل مصر واستقبل استقبال الفاتحين وهكذا انهزم التتار ونصر الله المسلمين فكان لابن تيمية دور كبير في هذا الانتصار(40).

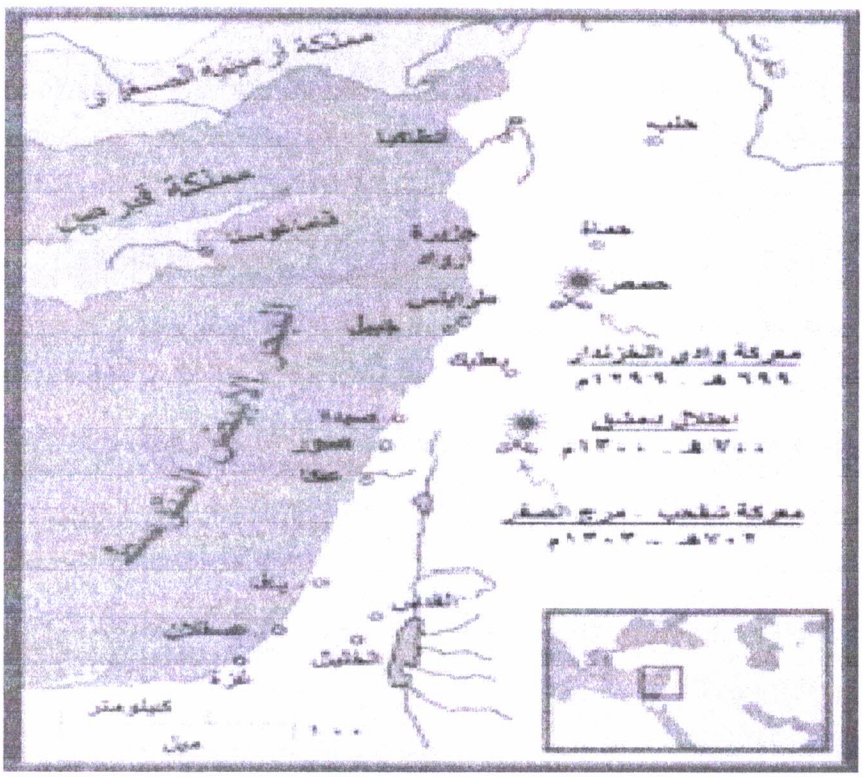

خريطة لأهم المعارك في دمشق أثناء الغزو المغولي

http: // ar wiki pedia. org / wiki

وبذلك يظهر جليا مدى قوة إيمانه وشدة نصحه حيث أثر في الناس وفي السلطان وأخذوا بنصائحه بالفطر في رمضان ليتقووا على القتال فنصر الله المسلمين بعزمهم وقوة إيمانهم وتعاونهم على قتال العدو.

الخاتمـــة :

نستنتج مما ذكرناه أنه رغم انشغال ابن تيمية بالعلم والتصنيف إلا أن ذلك لم يمنعه من مشاركة المسلمين في محنتهم عند غزو التتار لبلادهم فشاهد بنفسه ما حل بكثير من بلاد المسلمين من ظلم وتقتيل و انتهاك للحرمات فلم يقف مكتوف الأيدي ولم يعزل نفسه عما تعانيه أمته ، بل حارب المغول بكل ما استطاع وأفتى بضرورة محاربتهم وإخراجهم من بلاد المسلمين .

ونستنتج أيضا أن ابن تيمية لم يكن له صلة بالعلم فقط بل كان على صلة بالأمراء وقادة الجيش والسلاطين فدعاهم إلى التلاحم لطرد المغول من البلاد وقد تميز بأسلوبه الحكيم في مقابلة الملوك والأمراء فكانوا يستغربون جرأته وشجاعته وهيبته فأصبح بذلك قائدا سياسيا ورجل دولة .

كما تصدى للنصارى وحذرهم من التعاون مع التتار ضد المسلمين وحارب الفرق الضالة المتواطئة مع هؤلاء ولم يكتف بذلك بل نزل إلى ميدان القتال حيث شارك عدة معارك وساهم في جمع صفوف المسلمين ووحدهم وقادهم إلى الانتصار بفضل دوره في حث الجيوش المصرية والشامية على ضرورة التعاون ضد العدو وأخلص في دعائه كما أخلص النية لله في القتال فنصر الله المسلمين قال تعالى " يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم " سورة محمد الآية 7 ، وبذلك تخلصت الشام ومصر وغيرها من خطر المغول مدة طويلة .

الهوامش :

(1) إبن تيمية : هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني الحنبلي، المفسر الفقيه المجتهد المحدث نادرة العصر ذو التصانيف و الذكاء و الحافظة المفرطة ، ولد سنة 661 ه بحران ، رحل به أباه وبأخويه عند إستلاء التتار على البلاد إلى دمشق سنة 667ه إبتلي وسجن عدة مرات ، توفي سنة 728ه/ الذهبي شمس الدين ، تذكرة الحفاظ،ت حمدي إسماعيل السلفي، ط1 ، الرياض ، دار الصميعي ، 1415ه ج1 ص521 و الصفدي صلاح الدين ، الوافي بالوفيات، بيروت ،دار صادر 1991م، ج1،ص 875

(2) بدأ الغزو المغولي على بلاد الشام سنة 658 ه /1260م بقيادة هولاكو و استمرت غاراتهم خلال القرن 8 ه وبداية القرن 9 ه في عهد تيمورلنك / ابن كثير ، البداية والنهاية ، بيروت مكتبة لمعارف ، ج 13، ص

218 و المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج1 ، ص 139 و ج 2ص46 – 484 وج3 ، ص409

(3) غازان: هو محمود بن أرغون بن آبغا بن هولاكو ، جلس على الملك سنة 693 هـ و أسلم سنة 694 هـ و أدخل المغول الإسلام و توفي سنة 703 هـ / ابن حجر ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثانية ، ت محمد مجيد خان، الهند مطبعة دار المعارف العثمانية ط2 1972،ج4، ص218 .

(4) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ج1 ، ص 490و ابن حجر ، المصدر نفسه ج4 ، ص 250 الأتابكي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ، ج8 ،ص 129-32 والذهبي ،العبرفي خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين منجد ،الكويت ،ط2 ،1948م، ج6 ، ص19-20.

(5) الرباط الناصري و الضيائية : أما الرباط مركز تعليمي يجتمع عنده طلبة العلم يشبه الزوايا نسبة إلى الناصر صلاح الدين الأيوبي حيث كان دار له حولها إلى رباط بمنطقة قاسيون بدمشق و الضيائية مدرسة تنسب إلى ضياء الدين عبد الله محمد بن عبد الواحد الفقيه المقدسي المتوفى سنة 643 هـ حيث بناها بجبل الصالحية و جعلها دار للحديث / عبد القادر النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1990م ج 2 ص 71 وص 139وعبد القادر بدران ، منادمة الأطلال و مسايرة الخيال ، دمشق، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، ط1 ،1346 هـ ص 242

(6) المقريزي ، المصدر نفسه ،ج1،ص139وج2،ص310-311وابن كثير ، المصدر نفسه، ج14،ص8.

(7) قي الدين ابن تيمية ، مجموع الفتاوى، ت عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد للطباعة المصحف الشريف، السعودية ، ط1،ج28،ص399 .

(8) ابن تيمية ،المصدر نفسه ، ج28،ص551 .

(9) نفسه

(10) نفس المصدر ،ج28،ص 501 و ما بعدها

(11) نفسه .

(12) نفسه .

(13) نفس المصدر ،ج 28،ص506 .

(14) ابن كثير ، المصدر نفسه ،ج14،ص89 .

(15) نفسه

(16) نفسه .

(17) نفس المصدر ،ج14 ،ص36 .

(18) بولاي :زعيم من التتار صاحب قازان ونائبه عند خروج غازان من الشام تركه عليها حتى عودته خاطبه بن تيمية في فكاك أسرى المسلمين وكان له ذلك/إبنكثير ، المصدر نفسه ، ج13،ص ،134.

(19) نفس المصدر ،ج14،ص10-11 .

(20) نفس المصدر ،ج14،ص12 .

(21) ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، ص341.

(22) الأتابكي، المصدر السابق ،ج08،ص189.

(23) ابن كثير، المصدر السابق ،ج14،ص11.

(24) سرجوان: زعيم نصراني من الروم تملك قبرص وحارب المسلمين تصدى له بن تيمية وحذره من التعاون مع المغول ضد المسلمين/ ابن تيمية، المصدر نفسه ،ج 14 ص 11.

(25) ابن تيمية ، المصدر السابق ،ج28،ص600-630.

(26) ابن تيمية، المصدر السابق، ج28 ص، 600-630

(27) نفس المصدر ، ج28،ص399-407.

(28) نفسه

(29) نفسه .
(30) نفسه .
(31) نفسه .
(32) نفس المصدر ،ج35،ص133.
(33) نفس المصدر ، ج35،ص135-145-161.
(34) ابن كثير، البداية والنهاية ،ج14،ص12 .
(35) نفسه
(36) نفسه.
(37) ابن تيمية ، المصدر السابق ،ج28،ص407 .
(38) نفسه
(39) شحب : موضع قبلي دمشق يدعى أيضا مرج الصفر / الذهبي ، المصدر السابق ، ج6 ، ص19 20 و ابن كثير ، المصدر السابق ، ج14 ، ص ، 25
(40) محمد بن عبد الهادي ، العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية ، ت محمد حامد الفقي ، بيروت، دار الكتاب العربي ، ص 74- 75 وابن كثير ، المصدر السابق ج14،ص23- 24 والذهبي ، المصدر السابق، ج6،ص19-20 .